تصعيد المقاومة ضد الاحتلال

برزت ظواهر جديدة هامة في الحرب الشعبية التي تخوضها جماهير الارض المحتلة، في الفترة بين ١٦ آب (اغسطس) و١٥ أيلول (سبتمبر) ١٩٨٨، فيما بلغ القمع الاسرائيلي ابعاداً جديدة من الشدة. لقد أُطلقت حرية العمل ضد عملاء قوات الاحتلال والمتعاونين معها، من جهة، فيما دهم جنود العدو عشرات المدن والقرى وأباحوا اطلاق النار على قاذفي الحجارة الفلسطينيين. وتصاعدت عمليات المقاومة ضد الوجود الاسرائيلي في جنوب لبنان، فيما تبادل الفدائيون والطائرات الاسرائيلية الضربات. وشهدت المخيمات الفلسطينية في لبنان شحناً جديداً ينذر باندلاع القتال مع اطراف عدة.

السباق بين القمع والمواجهة

ظهر العجز الاسرائيلي عن قمع الانتفاضة الشعبية وانهاء مظاهرها، او استئصال جذورها، باتباع قوات الاحتلال لسلسلة من الاجراءات المتشددة في الآونة الاخيرة. وكان في مقدم هذه الاجراءات عمليات الدهم والاقتحام التي استهدفت عشرات المدن والقرى والمخيمات في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين. واذ كان ذلك أمراً يومياً، فانه قد اتسع، بحيث وقعت عمليات دهم عدة خلال يوم واحد، فاعتقل العشرات. ويذكر، على سبيل المثال، اقتحام رفح ومخيم الامعري ودير ابو ضعيف وزيتا في الثاني من أيلول (سبتمبر)، ثم الخليل والسموع وتل وفرعون وفقوعة والجلمة في اليوم التالي، وبعدها السموع وعرّابة ودير الغصون وتل والنصيرات في الرابع من الشهر (**فلسطين الثورة**، نيقوسيا، ١١/٩/١٩٨٨). وبلغ الامر بجيش الاحتلال حد اصدار بيان يهدد اهل غزة بأن «بيوتكم ستصبح انقاضاً كما هو الحال في بيروت» اذا لم يوقفوا الاعمال المناهضة للاحتلال (**السفير**، بيروت، ١/٩/١٩٨٨).

غير ان الحملة الكبرى حصلت في قلقيلية، التي حاصرها الجنود مدة ثلاثة أيام متتالية، دهموا خلالها المنازل وجمعوا ٨٠٠ فلسطيني في ملعب، وتم هدم اربعة منازل، فيما بلغ عدد المعتقلين ٢٠٠. وتلا ذلك اقتحام قرى محيطة عدة؛ اذ تم هدم ثلاثة منازل في العيسوية في الثامن من أيلول (سبتمبر)، ودهم كفرمالك في اليوم التالي. هذا، وتمثل الهدف من هذا الاسلوب في ارهاب المواطنين، خصوصاً محاولة تحطيم البنية التحتية للجان الشعبية والشبيبية التي تسيّر امور الناس وتواصل المقاومة. واتضح ذلك تماماً في الحملات الاسرائيلية التي أجريت في غزة في التاسع من الشهر، حيث تم اعتقال ٢٠٠ شخص؛ وصرّح الناطق العسكري انه تم تفكيك ٣٧ لجنة شبيبية، لها تنظيم تراتبي، ورئيس تمّ اعتقاله ايضاً (**المصدر نفسه**، ١٠/٩/١٩٨٨). كما أُصدر قرار باعتبار العضوية في اللجان الشبيبية جريمة تصل عقوبتها الى السجن مدة عشر سنوات (**ميدل ايست انترناشونال**، ٢٦/٨/١٩٨٨). غير ان قوات الاحتلال واجهت الفشل عموماً؛ اذ اضطرت الى العودة لاقتحام كفرمالك مجدداً في ١٢ الشهر، فيما واجهت بعض اعنف التظاهرات في قطاع غزة في ١١ ـ ١٤ الشهر.

وهكذا توالت أعمال الكرّ والفرّ، حيث جابه الجيش الاسرائيلي مقاومة متزايدة عند محاولة اقتحام القرى. فقد نجح المواطنون بصد القوات الاسرائيلية في مناسبات عدة، بعد معارك غير متكافئة دامت ساعات عدة احياناً، كما كان الحال في كفرالديك، في ١٦ آب (اغسطس)، وقرى الشيوخ وسعير وكفرالديك في ٢٥ منه، وكفرمالك، بعد يوم. وحصلت حالات مشابهة في كفرمالك في التاسع من أيلول (سبتمبر)، ومخيم الفوار بعد يوم، وكفرمالك، مجدداً، وعصيرة الجنوبية في ١٢ منه، وياسوف وكفرحارث بعد يومين. وكان المستوطنون الاسرائيليون لعبوا دوراً متزايداً في عمليات الدهم؛ اذ هاجموا كفرالديك في ١٧ آب (اغسطس)،